

منهاج البلاغاء وسراج الأدباء من منظور البلاغة الجديدة

أ. وهيبة جراح

توطئة: تعدّ تقنية قراءة التراث من منظور المناهج النقدية المعاصرة من الإستراتيجيات التي تبناها معظم الباحثون والدارسون في الآونة الأخيرة من أجل إعادة استنطاق التراث وجعل مكنوناته تكتسي حلّة جديدة، وربما مكنتهم هذه الطريقة من اكتشاف أمور كانت تُعزى في ظهورها إلى الغرب.

إنّ مثل هذه النظريات والتوجهات تمثّل فتحاً جديداً على تراثنا الذي كنّا على قناعة كبيرة بأنّه يُبطن كنوزاً أكثر مما يظهرها إلى العيان، رغم أنّ البعض لا يُحبّذ هذه الطريقة في الدراسة والمعالجة بحجّة اختلاف المرجعيات والمنطلقات، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أنّ معظم هذه النظريات قد وفدت إلينا من الغرب، وهي أمور لا تسمح لنا بطبيعة الموضوع في هذا المقام من الخوض فيها.

من هذا المنطلق سوف نحاول توظيف بعض معطيات البلاغة الجديدة لمقاربة الفكر النقدي والحسّ البلاغي عند "حازم القرطاجني" لإثبات الصلّة واكتشاف بعض مكامن التشابه بينهما، وإن كان ليس بالإمكان الحديث عن التطابق الكلّي لعدّة أسباب سوف نورد بعضها في ثنايا الموضوع.

ومحاولة رصد قضايا "المنهاج" من منظور البلاغة الجديدة، هو محاولة للإحاطة بمختلف الجوانب التي تناولها "حازم" والتي تملك صلة بها من قريب أو من بعيد، باعتبار أنّ هذه الأخيرة -أي البلاغة الجديدة- حاولت أن تجمع وتوفّق بين أشلائها المتناثرة مدّة من الزّمن، ليغدو الحديث في ثناياها مُتعدّد المشارب

(موسوعي) تتجاذبه أطراف الشعرية والجمالية والتخيل تارة وتقذفه أحيانا أخرى أمواج التداولية إلى مجرى التواصل ومختلف نظريات الإقناع والحجاج.

البلاغة الجديدة المفهوم والماهية: لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة

عن بلاغة جديدة وأخرى قديمة، بل تعددت الآراء واختلفت حول إمكانية وجود بلاغة جديدة أصلاً، وبناءً على هذا اتجهت الأنظار إلى الجوانب التي ينبغي على هذه البلاغة الجديدة أن تطرق بابها محاولةً منها في تقديم بديل عن البلاغة القديمة.

وهذه الجهود كلها نابعة من تلك الرغبة الملحة في الجمع بين الأشلاء المبتورة التي فقدتها البلاغة مدّة من الزمن، وبالتالي اتجهت الأنظار نحو محاولة الإجابة على إشكال رئيس وهو: ماذا ستتناول البلاغة الجديدة؟ وما هو البديل الذي ستقدمه؟ وكيف يمكنها أن تتخلص من هاجس النظرة الأحادية الذي كان يترصص بها؟

إنّ الإجابة على هذه الإشكالات على المستوى النظري اقتضت من معظم الدارسين الخوض في مسألة النسقية ومدى التوازن الذي يمكن أن تضطلع به هذه البلاغة في شأن التوفيق بين طرفيها: التخيلي والإقناعي، فوقفوا موقفين: أحدهما ينادي بضرورة الفصل بين الخطابية والشعرية على غرار ما فعل "بول ريكور"¹ حيث رأى بأنه رغم وجود منطقة تقاطع بين الخطابية والشعرية إلا أنها لا تصلح أن تجمع بينهما تحت علم شامل وهو البلاغة ومرجع ذلك هو اختلاف المدخلين في المنطلق والهدف، فالفعل الشعري هو خلق حكايات والفعل الخطابي هو تقديم حجج، أما من حيث الهدف فإنّ الشعر يستهدف التطهير بينما تستهدف الخطابة الإقناع.

في حين نادى الطرف الثاني بضرورة العثور على منطقة تصلح للجمع بين الشعرية والخطابية بشكل يجعل منها عاصمة فيديريالية لعلم كلي هو البلاغة على حدّ تعبير "محمد العمري"، وبالتالي اتّجه هؤلاء إلى تبيين مواطن التداخل

بين الجانب التخيلي والإقناعي على غرار ما نعثر عليه عند "أوليفي روبول" الذي يقول: "سنتبنى نحن حلاً ثالثاً، لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها بالتحديد، بعبارة أخرى ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة، التعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعّمتين بالحجاج"².

ويبدو من خلال هذا الانقسام في المواقف أنه لا وجود لبلاغة جديدة بكل ما يحمله المفهوم من دلالة، وإنما هناك وعي وقراءة جديدة للبلاغة التي عهدناها، حيث سعت فيها لتصحيح مسارها عن طريق الاستفادة من المراحل السابقة ومحاولة إصلاح الخلل الذي وقع فيه المتقدمون من البلاغيين، فحتى "بيرلمان" الذي عدّ رائد ما أسموه بالبلاغة الجديدة نجده لم ينطلق من العدم وإنما عاد بالبلاغة إلى منبتها وجذورها الأرسطية ليُدمجها مع الإنسانية العامة والتحاور اليومي ضمن أنموذج واحد. وأبرز ما يمكن أن يشدّ الانتباه هو المساحة التي حاولت هذه البلاغة الجديدة أن تترجّع عليها، حيث وسّعت من دائرة المستمع أو المقام فلم تعد تهتمّ فقط بخطاب الخاصة وإنما حاولت الخروج إلى الشارع لترصد الطابع الحجاجي في قول العامة دون تمييز، الأمر الذي جعلها تضع في حساباتها كلّ أنواع المستمعين سواء تعلّق الأمر بجمهور حاضر أو باجتماع لمتخصّصين أو تعلّق الأمر بشخص واحد لنجدها تهتمّ حتى بالحجج التي يوجّهها المتكلّم إلى نفسه في مقام حوار ذاتي.

وخير ما يمكن أن نستشهد به في هذا الصدد هو ما قدّمه "رولان بارت" في معرض حديثه عن البلاغة، حيث بيّن أنّ البلاغة الجديدة ما هي إلاّ قراءة جديدة للبلاغة القديمة التي حصر موتها في نقطتين أساسيتين هما:

- انحصارها في الجانب التعليمي حيث تحولت إلى مجرد قوانين.

- طغيان اليقينية التي أصبحت مقياسا للعلم والمعرفة، فاليقينية تُخضع الحقائق إلى التجربة والعقل حيث تضيق فيها دائرة الخلاف الذي يُعدّ أساس البلاغة الحجاجية، فالحجاج يتوفّر في المواضع التي يكون فيها اليقين موضع طعن.³

وهكذا نجده قد عاد بالبلاغة إلى مهدها اليوناني وبالضبط "الأرسطي" متقصيًا أهم الجوانب التي ركّزت عليها، فتوصّل إلى أنّ تلك البلاغة كانت تقوم أساسا على تقنية الإقناع والمحاكاة، إلى جانب جمالية الأثر (الجانب الفني)، رغم طغيان الجانب الأول، وبالتالي ما فعله المحدثون هو إتقانهم إعادة قراءة المشروع الأرسطي وتحويره بشكل جعله ينصاع لمعطيات مختلف المعارف والعلوم الإنسانية الراهنة، وإن كانوا -حسب رأيه- قد سقطوا في نفس النظرة الأحادية حيث أنّ الشيء الملاحظ في رواد البلاغة المعاصرة هو جنوحهم إلى جانب الحجاج والإقناع أكثر من جانب التخيل.

تجليات قضايا البلاغة الجديدة في "المنهاج": رغم أنّ الجهود التي بذلها "حازم" في "المنهاج" تندرج في إطار صناعة الشعر على العموم ورغم كون بلاغته تتّجه نحو الشعر، إلّا أنّنا نستشفّ نوعا من الوعي المبكّر بالحدود القائمة بين ما هو شعري وما هو خطابي، فمن أبرز المظاهر التي يُمكن أن تسترعي انتباه أيّ دارس هو ذلك الوعي والحسّ الكبيرين بتحديد وتوظيف المصطلحات المناسبة كلّ في مكانه المخصص له، خاصة فيما يتعلّق بمصطلحا "التخيل" و"التصديق" وبيان مدى تداخلهما وتمازجهما في الخطابين الشعري والتداولي □ اللذين استطاع أن يفصل بينهما بفضل الحسّ النقدي الذي يُعتبر الركيزة الأساسية في بناء المعرفة لدى القدماء.

ومن أهمّ قضايا البلاغة الجديدة التي طرحها "حازم" في "المنهاج" - وإن لم ترد بشكل واضح المعالم - نجد ما يلي:

1- الحفر في المنطقة التي تشدّ التخيل بالإقناع والوعي بالطابع

التكاملي بينهما: وقد ورد هذا الحفر في سياقات مُتعددة أين كان "حازم" يحاول تبين القاسم المشترك بين الجانب التخيلي (الشعري) والجانب التداولي (الخطابي)، رغم أنّ الغرض الأساسي الذي وضعه نصب عينيه هو البحث في صناعة الشّعْر ومختلف الآليات التي تحكمه.

يقوم تمييز "حازم" بين الخطابة والشعر على أساس المكوّن المميّز لهما فالشعر مبني على التخيل، عكس الخطابة التي تتبني على الإقناع، لكنّه يشير في عدّة مواضع إلى أنّه لا يمكن الاستغناء عن أحد المكوّنين (التخيل والإقناع) داخل الصناعتين، إذ يجوز أن يستعمل الشعر مكوّنات الخطاب الإقناعي ضمن هيمنة العنصر الذاتي، كما قد تتبني الخطابة على العناصر التخيلية في حدود ما يخدمها⁵، ففي هذا الشأن يقول: "... وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيَّلة، مؤكّدة لمعانيها مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيَّلة هي العمدة، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيَّلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكّدة لمعانيها وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة"⁶.

ويمكن أن نجسّد ذلك في الجدول التالي:

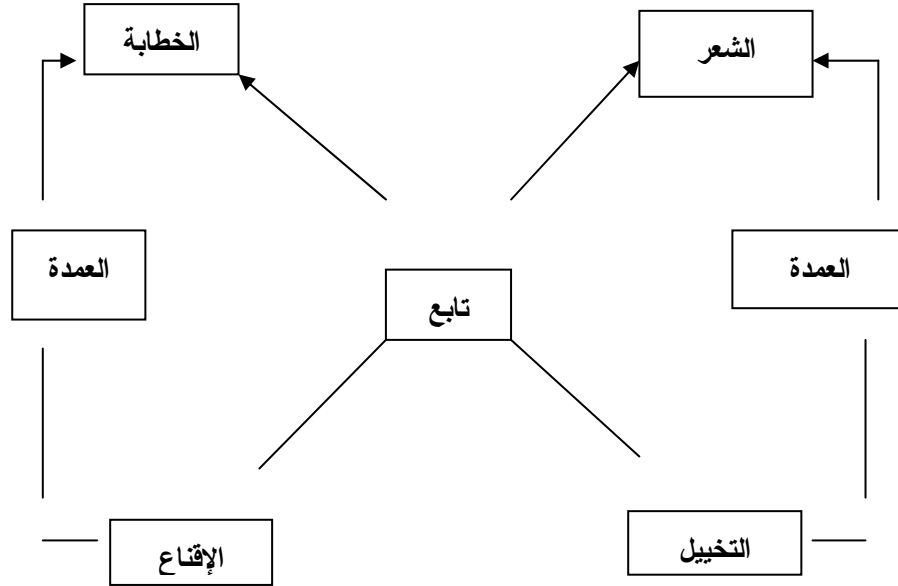
الكلام	نوعه	المكوّن المميّز له
	شعر	التخيل
	خطابة	الإقناع

وهو في مسعاه هذا يستعين بعدّة مصطلحات من شأنها أن تبين هذا المكوّن النوعي مثل:

العمدة/الأصيل/القوام

والتي يقابلها: التابع/الدخيل

ويضيف في هذا الشأن: "وينبغي أن لا يُستكثر في كلتا الصناعتين ممّا ليس أصيلاً فيها كالتخييل في الخطابة، والإقناع في الشعر، بل يُؤتى في كليتهما باليسير من ذلك على سبيل الإلماع"⁷ ويمكن توضيح ذلك كما يلي:



وبهذا يكون "حازم" قد خاض في مسألة النسقية التي أغرقت فيها البلاغة الجديدة، لا بل حسم فيها حينما قال بتعالق المدخلين المكوّنين للبلاغة (التخييل والإقناع) وإن لم يكن ذلك بنفس الوعي الذي نجده لدى المُحدثين. وقد توصّل من خلال هذا الخوض إلى نتيجة مفادها أن كلاً من التخييل والإقناع يشتركان في كونهما قائمين على "الاحتمال" توهيماً أو ترجيحاً التوهيم في الشعر والترجيح في الخطابة حيث أن "كلام الشاعر كذب يحتمل الصدق وكلام الخطيب صدق يحتمل الكذب". يقول في هذا الشأن: " ... كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج"⁸

ومن مظاهر الوعي المبكر بضرورة تضافر الجانبين التخيلي والإقناعي نجد موقفه إزاء المتكلم الذي يريد التأسيس لأفكار جديدة (إنتاج قصيدة) إذ ينبغي حسبه أن يعتمد على سلسلة من الأدوات التي من شأنها أن تمنح الكينونة للعمل، وهذه الأدوات حسب (حازم) هي "العلوم المتعلقة بالألفاظ والعلوم المتعلقة بالمعاني".⁹

فأما العلوم الخاصة بالألفاظ فيقصد بها ما يجعل من النص فنًا (الجانب الشعري من الخطاب بمفهوم البلاغة الجديدة)، أي ما يضمن الجانب الإيستيتيقي للقصيدة كالبيان (التشبيه، الاستعارة، ...)، والبديع (جناس طباق، مقابلة، ..)، ويعتبر "حازم" هذه الأدوات بمثابة الأصول التي ينبغي الإحاطة بها من أجل المحاكاة الجيدة.

في حين العلوم المتعلقة بالمعاني "تتبع خواص تراكييب الكلام كالإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحتزّز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"¹⁰ (الجانب التداولي من الخطاب بمفهوم البلاغة الجديدة).

من خلال هذا الحضر توصل "حازم" إلى أنّ البلاغة هي العلم الكلي لمعرفة تناسب المسموعات والمفهومات، حيث يقول: "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلاّ بالعلم الكلي في ذلك، وهو علم البلاغة الذي تدرج تحت تفاصيل كلياته ضروب من التناسب والوضع، فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار، وتوجد طرقهم في جميع ذلك تتراعى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما يُنافر"¹¹.

3- الاهتمام بالمتكلم (الشاعر): وهو اهتمام بالجانب التأثري والإقناعي للكلام، وهو الجانب الذي اهتمت به البلاغة الجديدة مع "بيرلمان"

ففي معرض حديثه عن إستراتيجية الإقناع وآليات اشتغالها في الخطابات العامة نجد أنه وضع العديد من المقوّمات التي تحكم عمليات المحاججة من قبيل:

- ضرورة حرص المتكلّم أن يكون خطابه مؤثرا.
- بناء الحجاج على أساس مسلمات المتلقي، حيث ينبغي أن تتوافق الحجج المقدّمة مع هذه المسلمات.

وبهذا يكون شرط الملائمة حاضرا في عملية الإقناع حيث لا ينبغي أبدا تجاهل موقف المستمع إزاء القضايا التي يدعيها المتكلّم، ليغدو بذلك مبدأ التعاون هو الأساس في التعامل بين المتكلّم والسامع، هذا الأخير الذي طالما ألحّ عليه التداوليون باعتباره: "المبدأ الذي يرتكز عليه المتكلّم للتعبير عن قصده مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه"¹².

يقول "غرايس في هذا الصدد: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه الحوار"¹³.

في ثانيا القضايا التي يطرحها "حازم" في منهاجه نعثر على اهتمام كبير بالجانب الحجاجي الإقناعي للكلام بشقيّه: الشعري والخطابي والذي يتبلور أساسا في الاهتمام الكبير بمدى تأثير الكلام ووقعه على النفوس وكأنّه في كلّ مرّة يستحضر قارئاً مفترضا من أجله ينبغي للمتكلّم أن يكيّف خطابه في هذا السياق نجده يستحضر مبدأين - يتعلّقان بالدرجة الأولى بالمتكلّم وبدرجة أقلّ بالسامع وفحوى الرسالة- على قدر من الأهمية وهما "الملائمة" و"المنافرة"، فالتأثير عنده يتّخذ منحنيين:

← المنحى الإيجابي / الملائمة: والذي يتحقّق من خلال:

- حسن التعبير عن المواقف التي ينبغي أن توافق أسماع الجمهور (من جهة المتكلّم): حيث أنّ الحالة التي يعبر عنها المتكلّم تؤثر بشكل كبير في وقع الرسالة في نفس السامع، حيث يقوم هذا الأخير بانتقاء الموقف الذي يراه الأنسب

في التعبير عن حالته يقول في هذا الشأن : "فأما ما يجب اعتماده في تحسين موقع الأسلوب من النفوس فذكر أفضل الأحوال الطيبة والسارة وأجدرها ببسط النفوس، وذكر أعلق الأحوال الشاجية بالنفوس وأجدرها بأن ترق لها النفوس وذكر أدعى الأحوال الفاجعة إلى الإشفاق والجزع حيث يُقصد قصد ذلك".¹⁴

- حسن سبك المعاني والتوليف بينها: حيث يجب على المتكلم أن يكيّف المعاني الموحشة إلى جهات مونس، وينبغي أن لا يُستكثر في كلا التوجهين، بل يجب أن يأتي بما يُراد إلقاؤه بمحلّ القبول، يقول: "وليس يستعمل الكلام بالنظر إلى من قصد بالقول أولى ممّن اتفق له بالعرض سكون نفس إلى ما لا تسكن النفوس إليه خاصة، بل بالنظر إليه وإلى غيره ممّن يقدر مرور ذلك الكلام على سمعه عامة".¹⁵

- ضرورة المزاوجة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية: وهذه المزاوجة جاءت عن قناعة "حازم" بأن الغرض في كلتا الصناعتين هو التأثير في النفوس أي أنّ القصد والهدف واحد في الشعر والخطابة، لكنه يلحّ دائماً على عدم المغالاة في توظيف مقومات كل طرف في ثنايا الآخر، يقول: "قد تقدّم الكلام في أنّ التخييل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضوع بعد الموضوع، وإثما ساع لكليهما أن يستعمل يسيراً فيما تتقوّم به الأخرى، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتتأثّر لمقتضاه".¹⁶

- ضرورة الاطراد / الانسجام في الأساليب: يستخدم "حازم" مصطلحي (النظم) و(الأسلوب) كمقابل لمصطلحي (السبك/الاتساق) و(الحبك/الانسجام)، فالأول متعلّق بهيأة الألفاظ بينما يتعلّق الثاني بهيأة المعاني، حيث يرى أنّه من الضروري أن يكون هناك اطراد في الانتقال من غرض شعري إلى آخر وحتى في ثنايا الغرض الواحد ينبغي أن يكون هناك

انسجام باعتبار أن الأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، يقول: "ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يُلاحظ فيه من حسن الاطراد والتناسب والتلطّف في الانتقال من جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد ما يُلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولُطف النقلة"¹⁷.

← المنحى السلبي / المنافرة: ويتحقق هذا المنحى من خلال سلسلة من الأسباب التي تعدّ نقيضة للتي أحصاها في الملائمة كأن يكون هناك:

- مغالاة في تكييف المعاني: كأن يودّ المتكلّم التعبير عن معاني موحشة بغير الذي تعلّقت به، حيث يغدو المؤنس موحشا والموحش مؤنسا.
- الإفراط في توظيف المعاني الشعرية داخل الخطابية أو العكس.
- الطول والثقل في الكلام للذان يسببان كراهة النفس له.

يبدو أن المتكلّم هو الذي يمثّل قطب الرحى في العملية الإقناعية - عند حازم - حيث يقوم بدفع السامع إلى الثقة فيما يقوله ملتصقا آلية شبه منطقية وهي التصديق أو ما يتعلّق بمجال الأدلة التي ينبغي أن تتناسب مع ذهن المستمع¹⁸ يرى "حازم" في هذا الصدد أنّ مبدأ التأثير في السامع يتوقّف على مدى تمكّن المتكلّم من المحاكاة والتخييل بشكل يجعله يسترعي اهتمام السامع والمطلوب دائما منه هو:

- مراعاة أن يكون لكلّ مقام مقال لغرض تحقيق الإفادة
- شرط الوضوح والحسن
- الاحتيال في انفعال السامع بشكل يوهمه بأنّ القضية التي يدعيها صادقة حيث يقول في هذا الشأن: "لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى معاونته بعضهم بعضا على تحصيل المنافع وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن يكون المتكلّم يبتغي إمّا إفادة المخاطب، أو الاستفادة منه. إمّا بأن

يلقي إليه لفظاً يدلّ المخاطب إما على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل أو تأدية معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول، وإما بأن يلقى إليه لفظاً يدلّه على اقتضاء شيء منه إلى المتكلم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول، وكان الشيء المؤدى بالقول لا يخلوا من أن يكون بيّناً فيقتصر به على الاختصاص أو يكون متشكلاً فيؤدي على جهات من التفصيل والبيان والاستدلال عليه والاحتجاج له¹⁹

يتّضح من قول "حازم" أعلاه أنّ ردود الفعل التي يثيرها المتكلم في المتلقي تأخذ ثلاث هيئات: الهيئة العملية، الهيئة السلوكية ثمّ الوجدانية²⁰.

2 - **الاهتمام بالمتلقي (السامع):** يمكن أن نعثر في "المنهاج" على بعض مظاهر التفكير في المتلقي بخاصة الحديث عن النفوس من حيث الملائمة و المنافرة فهي في نهاية الأمر متعلّقة بالمتلقي حيث يقول: "لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجاتهم إلى معاونة بعضهم بعضاً على تحصيل المنافع وإزاحة المضار وإلى استفادهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن يكون المتكلم يبتغي إمّا إفادة المخاطب، أو الاستفادة منه"²¹.

وحسب ما سبق يتبين لنا أنّ المتكلم يهدف من كلامه الموجّه إلى السامع أن يحقق غاية ترتبط بالجانب المادي، فتتحقق إيجابية الغاية عند تحصيل الفائدة، وتتحقق الإيجابية الثانية عبر إزالة أمر سلبي وهو ما اصطلح عليه "حازم" بالمضار الذي يتحوّل إلى فعل إيجابي عندما يرتبط بالإزاحة²². وفي هذا كلّ تشابه كبير لما ذهب إليه الدراسات الحجاجية المعاصرة في إطار البلاغة الجديدة والتداولية.

كما أنّ مفهوم القصيدة (النص/الخطاب) يملك علاقة وطيدة بالمتلقي إذ لا تكتسب القصيدة معناها - وفق ما أشار إليه "حازم" - إلّا بعد حدوث

التفاعل بين طرفين أو أكثر، فقيمة النص الفنية تتجلى من التأثير والانصياع لسلطة الخطاب، أمّا الضامن لهذه السلطة فهو:

"حسن التخيل له (للمتلقي)، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك"²³.

إنّ توفر أحد العناصر التي أحصاها "حازم" أعلاه كفيلة بإحداث الهزة الجمالية، وحالات الاستجابة عند المتلقي أربع سواء كانت إيجابية أم سلبية²⁴:

- إذا كانت المعاني معروفة عند المتلقي تتأثر، وبالتالي كانت استجابته إيجابية.

- إنّ من المعاني ممّا يعرفه المتلقي لكنّه لا يتأثر لمقتضاها، فاستجابته سلبية ناجمة عن سلبية المعاني بالنسبة لأفق توقّعه.

- وهناك معانٍ إذا تعرّف عليها المتلقي وتأثّر، كانت استجابته إيجابية.

- كما نجد معاني لا يعرفها الجمهور ولا يتأثر لها فاستجابته سلبية.

3 - الاهتمام بالرسالة (الخطاب/النص/القصيدة): أما الرسالة فهي التي

تسهم في الربط بين المتكلم والسامع لكن نجد حازما يشترط فيها الوضوح والاعتدال لكي يحسن موقعها من النفوس المتلقية.

يقول في هذا الشأن: "إنّ الكلام إذا خفّ واعتدل حسن موقعه من النفس وإذا طال وثقل اشتدّت كراهة النفس له"²⁵

ويضيف: "وليس يُحمد في الكلام أيضا أن يكون من الخفة بحيث يوجد فيه طيش، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار، ولكن المحمود من ذلك ما له حظ من الرصانة، لا تبلغ به إلى الاستقلال، وقسط من الكمال لا يبلغ إلى الإسأم والإضجار"²⁶

يهدف "حازم" في حديثه عن (النص/القصيدة) إلى تأسيس مشروع كامل لنص شعري متكامل، يمتلك مواطن بقاءه في دقة تشكيكه، إنّه مشروع نص افتراضي إذا نظرنا إلى طبيعة الواقع الأدبي المنغمس في الرداءة والضحالة، لهذا

رأى "حازم" أنّ هذا النص لابدّ أن يستجيب مضمونه المعنوي والشكلي لمقاييس فنيّة خاصة، يُراد منها إدماج المتلقي في دائرة الفهم ليتواصل من خلال النص مع المبدع.

نستنتج مما سبق أنّ "المنهاج" ينسج علاقة وطيدة بالبلاغة الجديدة حيث رأينا الكيفية التي كانت بها بلاغة "حازم" بلاغة "أثر" وفي الوقت نفسه بلاغة "جمهور"، وذلك من خلال التطرّق الواسع لمفهوم التخيل وأبجديات توظيفه واشتغاله من جهة، والتعرّض لمفهوم التأثير والإقناع وكيفيات حدوثه وأهم القوانين التي تحكمه من جهة أخرى، عبر سلسلة من القضايا التي طرحها "حازم" وإن لم تكن على نفس الدرجة من الوعي في المعالجة والتحليل، وربّما هذا ما كان يعوز المعرفة التراثية وهو افتقارها لجهاز مفهومي واضح المعالم يمكن من بلورة العديد من القضايا التي تُعزى في ظهورها- في الفترة الراهنة- إلى الغرب، وربّما هيمنة الخلفيات الدينية وتراجع الحضارة الإسلامية حالا دون استثمار هذا التراث تنظيرا وتطبيقا، وتبقى محاولة "حازم" في "المنهاج" تتمّ عن قمّة الوعي الذي تمتّعت به الدراسات البلاغية والنقدية التراثية رغم قيام المعرفة في مثل هذه المعالجات والدراسات على الانطباعية في معظم الأحوال.

الهوامش:

- 1- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق يناير 2005، المغرب ص 18-19.
- 2- المرجع السابق، ص 22.
- 3- رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، أفريقيا الشرق 1994، ص 38.
- 4- م ن، ص 56.
- 5- م ن، ص 57.
- 6- أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، ص 362.
- 7- م ن، ص ن.

-
- 8- م ن، ص 62.
- 9- حازم القرطاجني، المنهاج، ص 41.
- 10- السكاكي أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، 1356-1937، ص 77.
- 11- م ن، ص 226-227.
- 12- الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2004، ص 96.
- 13- م ن، ص ن.
- 14- المنهاج، ص 357.
- 15- م ن، ص 359-360.
- 16- م ن، ص 361.
- 17- م ن، ص 364.
- 18- رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، أفريقيا الشرق 1994، ص 50.
- 19- حازم القرطاجني: م س، ص 345.
- 20- راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، ع 399 تموز 2004، ص 03.
- 21- المنهاج، ص 344.
- 22- وليد بوعديلة: مظاهر التفكير في التواصل عند حازم القرطاجني، مجلة المبرز، عدد خاص بالملتقى الوطني حول دور اللسانيات في العلوم الإنسانية، فيفري 2002، ص 110-111.
- 23- المنهاج، ص 11.
- 24- نصيرة مخربش، الشاعر والنص والمتلقي عند حازم القرطاجني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2005-2006، ص 206-207.
- 25- المنهاج، ص 368.
- 26- م ن، ص ن.